حب وكوارث

إنه ــ إذن ــ الحب الأعمى .. الذى أدى به إلى هذه الكوارث الاقتصادية ..

فيقال إن رجلا من المهاجرين إلى أستراليا كان يحب الأرانب لدرجة أنه كان يضعها فى غرفة نومه . وقد استطاع أن يعلم بعض هذه الأرانب أن تقفز إلى المائدة فى أثناء الطعام . ويقال إنه أطلق على نفسه اسم أرنب .. هذا الرجل أحضر معه إلى أستراليا عدداً من الأرانب سنة ١٨٥٩ .

وبعد وفاته تكاثرت الأرانب لدرجة أنها استطاعت أن تقضى على كل المحصولات الزراعية .. فلم يبق للحيوانات الأخرى طعام تأكله . وحاولت أستراليا أن تقاوم الأرانب بالقطط فتكاثرت القطط حتى كانت تفتك بالطيور .. ثم قاوموا هذه الحيوانات التى جاءت للزينة بكثير من المبيدات . ومات الملايين منها ، ولكن بقيت بعد ذلك سلالات تقاوم المبيدات !

وقد أقام أبناء أستراليا سوراً طوله ١١٤٠ ميلا لمنع الأرانب من دخول الحقول والبيوت والحدائق !

ويقال إن رجلا آخر كان مغرماً بأشجار الصبار .. وكان يزرعها فى حديقته للزينة . وتكاثر الصبار فى أستراليا لدرجة أنه يغطى الآن ألوف الأميال . وقد حاولت أستراليا أن تأتى له بحشرة تقضى عليه ، فما كان من هذه الحشرة إلا أن تكيفت معه .. وعاشت عليه !

ويقال إن أحد الأتراك أعجبه منظر شجر الخشخاش .. وأعجبه

لون زهرتها .. فزرعها فى حديقته .. وانتشر الخشخاش ، وهو البنبوع الأول للأفيون : فى الشرق الأوسط .. وفى العالم كله !

وأحد الإنجليز قد جاء إلى مصر وزرع فى حديقته أيضا نباتاً يطفو على الماء : ورد النيل . هذا النبات قد تحول بسرعة إلى وحش يشرب الماء وينمو بسرعة .. ويخنق الترع ويقتل النباتات . وهو خطر حقيقى على القنوات والترع والنيل من المصب إلى المنبع !

مثل هؤلاء الهواة : أصحاب الحب الأعمى . يستحقون ضرب الرصاص من شعوبهم ومنا . وإن كنا ندين بالامتنان للرجل الذى أحضر شجيرات القطن وزرعها فى حديقته .. للزينة ! وانتشر قطن الزينة وأصبح عصب الاقتصاد القومى فى مصر وغيرها من البلاد . وقد حاول هذا الرجل أن يمنع الناس من زراعة هذه الشجرة التى يخرج منها « صوف أبيض » .. ولكنه لم يستطع طبعاً .

ونحن ندخر أعظم وأفخر أنواع الامتنان لكل من يأتى بشجرة للزينة إذا زرعناها مع شجيرات القطن تقضى على الوحش الذى اسمه دودة القطن !

إنسان آخر فيك

أنت لا تعرف بالضبط ما الذى يمكن أن يخرج منك إذا تدربت على نوع معين من الرياضة . إن التدريب يخلق منك إنساناً آخر . هذا الإنسان الآخر موجود فى داخلك وأنت لا تعرفه ..

مثلا : .. مثلا .. إذا طاردك كلب فإنك تهرب منه وتقفز من فوق قناة عريضة .

هذه القناة لا تستطيع أن تجتازها فى أى ظروف عادية ؛ فما الذى حدث ؟

إن إثارة عصبية قد منحتك هذه المقدرة المفاجئة .

إن بعض الناس عندما تشتعل النار فى بيوتهم تكون لديهم شجاعة خارقة .

إن رجلا استطاع أن يقتحم النيران ، وأن ينقذ إحدى بناته ، وقد نجت ابنته لأنه قفز من عشرة أمتار . فمن أين جاءته هذه القوة ؟ إنها قوة كامنة فى جسمه .

إن الذين رأوا المصابين بمرض «الأموك» المعروف فى آسيا يلاحظون أنهم يجرون بسرعة تفوق سرعة الخيول فى بعض الأحيان .. إن هذا المرض قد وهبهم طاقات نادرة ، كما أن الذين ينامون مغناطيسياً يتصلبون كأنهم ألواح خشبية ؛ وفى استطاعتهم أن يناموا على كرسيين متباعدين ولفترة طويلة يعجز عنها أكثر الرياضيين قوة . وكذلك المصابون بمرض الكاتلتونيا فمن أين جاءتهم هذه الصلابة إنها خرجت من أجسامهم . لقد أثبت التحليل الطبى أن عظام بعض الرياضيين

فى صلابة الإسمنت المسلح ، وهؤلاء الرياضيون لا يتناولون أطعمة نادرة ، وإنما ما يتناوله الناس، فمن أين جاءت هذه القوة الخراسانية؟

من أجسامهم طبعاً !

فليس فى أجسامنا قوة عضلية فقط ، وإنما فينا قدرات وطاقات نفسية لا حدود لها ، ولكننا لا نجربها ، ولكننا لا نمارسها ، لا نتيح لها الفرصة لتبرز ، فنحن أقدر على أن نتحمل أكثر مما نتصور . ونحن أقدر على أن نعمل أكثر مما نتصور .

ولسنا فى حاجة إلى كل الأطباق التى نأكلها ولسنا فى حاجة إلى الساعات التى ننامها ، فنحن نجهل أننا أقوياء .

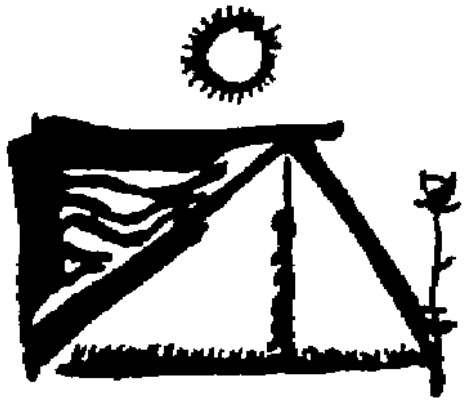

الإخلاص ليس بديهية

سألنى : هل ترى أننى مغفل ؟

فأجبت : نعم .

وروى لى قصته بالتفصيل ، فهو عندما خرج من السجن عاد إلى البيت يدق الجرس لتطل عليه الزوجة وتقول له : اذهب إلى بيت أبيك لا حياة لك هنا ، لقد طلبت الطلاق . .

وأمام الطالع والنازل والضيوف والسكان والبواب والسفرجى والأطفال حاول الزوج أن يعرف الأسباب ، ولم تكن هناك أسباب . قال لها : فلوسى باسمك . بيوتى باسمك . شقتى التى ثمنها عشرة آلاف جنيه باسمك ، وشقتى الأخرى ثمنها عشرة آلاف جنيه باسمك . وسيارتى ثمنها ثلاثة آلاف جنيه باسمك . والذهب والمجوهرات كلها باسمك . أعطيتك رقبتى ونمت . لم أكن أتصور أنك أصبحت ارجل آخر أغنى وأقوى !

وينزل من أمام باب بيته مفضوحاً .

ويعود إلى بيت أبيه ويقول : كانت لا تعرف كيف تمسك الشوكة والسكين .. كانت لا تعرف كيف تلبس ، والآن تضع رجلا على رجل وتعرى ركبتيها فى كل مكتب ، وتلعب بأعصاب الكثير ، وتبيع أنوثتها ، وتخرب بيتها وبيوت الآخرين ، كل هذا كنت أعمى عنه . ستقول إننى مغفل . وقلت إنه بالفعل كذلك وهذا التغفيل من جانبه صفة يستحق عليها العقوبة ، فهو لم يكن مغفلا ، وإنما هو الذى أغمض عينيه وفتح يديه لجمع الفلوس من كل مكان ،

وانشغل الزوج الذى يجمع الفلوس ، وانشغلت الزوجة التى تجمع الفساتين والمجوهرات ، ويهتز صدرها وتتسع أذناها للكلمات الحلوة . ولا توجد امرأة لا تهزها كلمة حلوة خصوصاً إذا كانت هذه الكلمة لايقولها الزوج . وعندما لا تجد مثل هذه المرأة المنحلة كلاماً عند زوجها تبحث عن الكلام عند أزواج الأخريات ، ويسعدها أن تخرب بيوت الأخريات أيضاً ، تماماً كما خربت بيتها . والرجل الذى يأخذ الزواج والإخلاص فى الزواج بديهية يفاجأ بأن الإخلاص ليس بديهية ، وإنما هو اتفاقية يجب أن يؤكدها الزوج والزوجة يومياً .

وعندما امتلأت عيناه بالدموع طلب منى أن أكتب هذه المأساة ليعرف الأزواج ماذا تفعل الزوجات . قلت سأفعل ، ولكن لكى تعرف الزوجات غباوة بعض الأزواج أيضاً .

المسرح مدرسة بلا مدرس

لا يعجبنى منظر المدرس ومعه عدد من الطلبة الصغار يدخلون أحد المسارح . إن وجود المدرس يجعل هذه المسرحية نوعاً من الواجب .. نوعاً من الدرس . يجعل المتعة إجبارية . ويجعل الهدوء فى أثناء التمثيل أمراً يقتضيه وجود المدرس . ويجعل التصفيق قاعدة من قواعد السلوك .

ويتحول المسرح والمسرحية إلى « حصة » من الحصص ، وهذا يفسد المتعة التى نريدها لكل من يتفرج على المسرح. وقد جربنا جميعاً ونحن صغار الذهاب إلى حديقة الحيوان مع مدرسينا ، وجربنا أن نلعب بحساب ، وأن نضحك بحساب ، وأن نحاسب بحساب أيضاً . وكل هذا يحد من لذتنا ومن متعتنا .

صحيح أن الطالب الصغير فى حاجة إلى من يرشده وإلى من يقول له : هكذا يجب أن تجلس ، وأن تستمع ، وأن تخفض صوتك ، وألا تتكلم بصوت مرتفع .. إلخ ..

ولكن من المؤكد أننا نريد من الطالب الصغير أن يدخل هذه التجربة وحده . أن يذهب إلى المسرح . أن يعرف كيف يكون حجز التذاكر ، وكيف تكون « الطوابير » وكيف يجلس فى مكانه . ونريده أن يتعلم من الكبار أدب الصمت وأدب التصفيق ، وأن يجعل من الكبار نموذجا طيباً له .. وأن يفعل ذلك كله بلا خوف من أحد ، وبلا ضغط من أحد ، وأن تتحقق له اللذة الفنية والمتعة العقلية بحرية كاملة ، وألا يشعر بأن المسرح ليس إلا معبداً وإلا مدرسة . .

وأنا أفضل جمهور المسرح على جمهور السينما ، لأن جمهور المسرح هو جمهور « الكلمة » وليس جمهور « الكاميرا » . وجمهور المسرح هو الجمهور القادر على أن يشترك فى التمثيل وذلك عن طريق « الاندماج » فى «الجو» المسرحى وفى « الحوادث » .. وذلك بأن يتحول إلى « طرف» فى قضية . وإلى حكم فى مباراة من نوع غريب . هذه المباراة هو فيها الكرة واللاعب والحكم والشبكة .

إننى أتمنى أن أرى مع بداية الموسم المسرحى تلامذة صغاراً يتفرجون وحدهم ، ويتعلمون بلذة ومتعة أن المسرح مكان للراحة والدراسة والعلاج والمناقشة اللذيذة ، بلا عصا فى يد مدرس ، وبلا تكشيرة على وجهه !

قولان وأكثر

هل هى مسألة فيها قولان ؟ طبعاً ، فيها أكثر من قولين . ولنفرض أن المؤلف الذى روى قصة حياة الرئيس كنيدى على لسان أرملته قد مات هو أيضاً فى ظروف غامضة ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن هناك « أناساً» حريصون على أن يظل مقتل كنيدى لغزاً ، وأن يحول اغتياله من مأساة إلى جريمة عادية ، وأن تتحول الجريمة إلى « لعنة » وهذه اللعنة قد أصابت جميع أفراد أسرة كنيدى واحداً واحداً ..

فالرئيس كنيدى مات قتيلا ، وأخت كنيدى مجنونة من عشرين سنة ، وأخوه تحطمت ساقه ، وأخوه الثانى تكسرت ضلوعه وقتل ، وأبوه مات نصف مشلول ، وأمه مريضة .. والرجل الذى أصدر عنه أول وثيقة تاريخية قد أصيب بمرض مفاجئ .. أو مات ، وبذلك يصبح كنيدى شبحاً مخيفاً لمن يقترب منه .

وفى ظل هذا الخوف ترتعد الحقيقة أو تختفى تماماً ..

والقضية هنا أخطر من هذا بكثير . إنها قصة التاريخ ، ومن الذى يكتب التاريخ ؟ وكيف يكتبه !

إن طبيب تشرشل أصدر مذكراته عن هذا السياسى الإنجليزى الخطير ، ولكن جاءت هذه المذكرات من وجهة نظر طبيب ، لا يرى تشرشل إلا مريضاً أو متماثلا للشفاء . وهذا الطبيب يريد أن يقول إنه هو المسئول عن صحة تشرشل ، وإنه بفضل عنايته قد جعله يعيش حتى التسعين . فالطبيب يريد أن يتخذ له مكاناً فى التاريخ على حساب تشرشل !

وإيدن عندما كتب مذكراته تحدث عن تشرشل أيضاً ، ولكن كما يتحدث التلميذ عن أستاذه . وهو فى هذه المذكرات يقول بشكل غير مباشر إن تشرشل كان عاقلا جداً جداً . وإن هذا العقل هو الذى جعله يختار إيدن خلفاً له . فإيدن يبنى لنفسه قصراً فى جنة تشرشل .

وبعد انتحار الأديب هيمنجواى صدر كتاب لأحد تلامذته ، وأصدرت أرملته كتاباً أيضاً . وكل واحد منهما يروى جانباً من حياة الأديب ؛ ولكن ما أبعد المسافة بين الكتابين ! وما أغرب التفسيرات والآراء التى صدرت عن شخصين صديقين لرجل واحد !

وربما كان الخوف من التاريخ وما سوف يقوله عن الأدباء والعظماء هو الذى جعلهم يكتبون تاريخهم بأنفسهم قبل أن يموتوا .. تشرشل كتب مذكراته ، وأديناور كتب مذكراته ؛ وديجول كتب مذكراته والأديبة سيمون دبوفوار كتبت مذكراتها فى أربعة أجزاء .. والفليسوف سارتر كتب قصة حياته .. والعقاد وطه حسين كتبا .. والحكيم وزكى نجيب محمود ؛ جميعهم يكتبون تاريخهم قبل أن يكتبه الآخرون . ولكن من المؤكد أن الإنسان عندما يكتب تاريخه ، يضيف صعوبة جديدة إلى دراسة التاريخ ؛ لأنه يكتب التاريخ من وجهة نظره . فهو يرسم أجمل صورة يراها لنفسه .. أو يحب أن يعلقها الناس فى بيوتهم . وليس كل جميل صادقاً وإنما الجمال هنا عمل فنى أو أكذوبة جديدة .